الأسطول

في

العصر الفاطمي

إعداد

د. نوال عبدالله الشريف

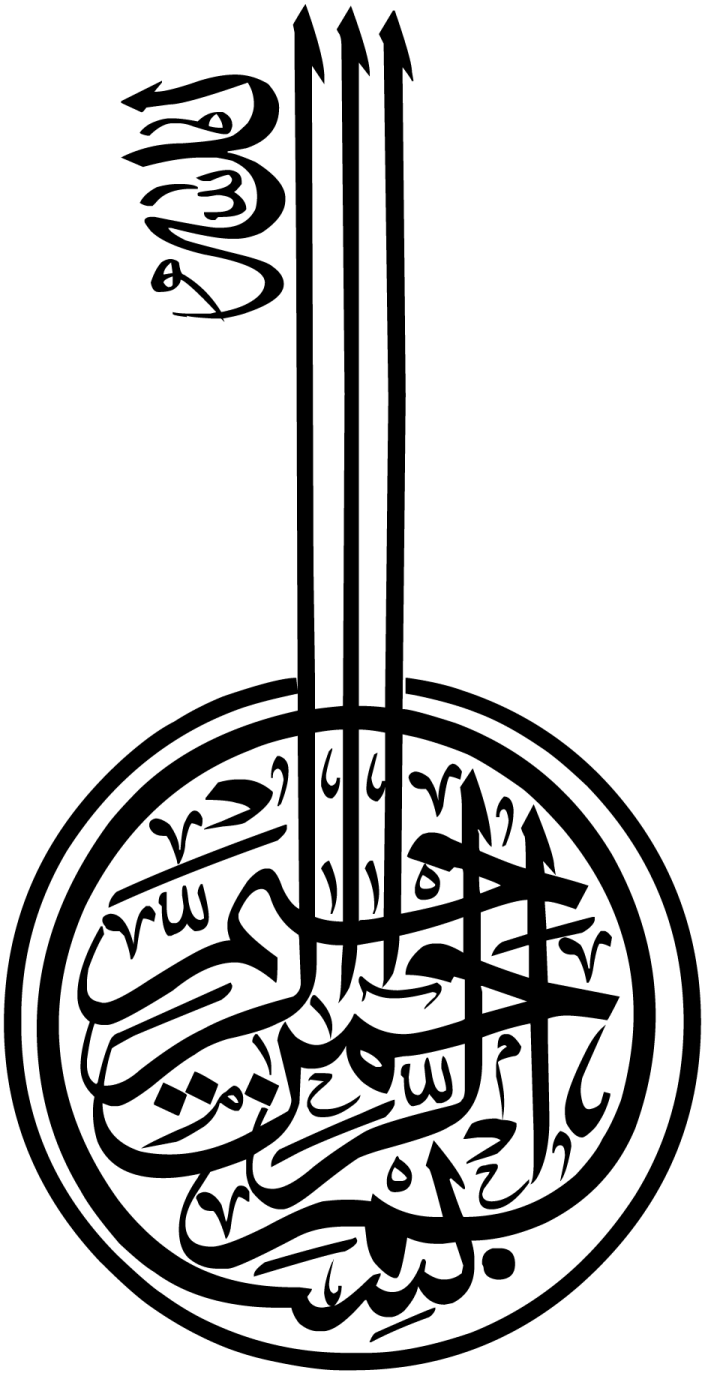

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

لم يكن للعرب المسلمين عناية واهتمام ملموس بالبحر وصناعة السفن حيث ظلوا أعواماً عديدة يعتمدون في تنقلاتهم علي البر ، والفروسية في حروبهم وفتوحاتهم الإسلامية ، وبقي حالهم علي هذا المنوال حتي تم للمسلمين أمر مصر ، وما أن بدءوا يستقرون فيها حتي هاجمهم الروم بثلاث مائة سفينة تحمل آلاف الجند يقودهم مانويل الأرمني في السنة الخامسة والعشرين من الهجرة النبوية (٦٤٥م) ، واستطاعوا دخول الإسكندرية ، والاستيلاء علي العديد من بلدان مصر حتي قيض الله عمرو بن العاصي [١] الذي قاد خمسة عشر ألفاً من المجاهدين ، وتمكن بفضل الله من طرد الروم ، وإخراجهم من مصر بعد معارك سطرها التاريخ فخراً وعزاً للمسلمين في صبرهم وجلدهم .

وعلي إثر عودة عمرو بن العاص إلي المدينة المنورة صارت ولاية مصر لعبد الله بن سعد أبي السرح [٢] الذي استشعر ضرورة

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب قادة ودهاة ، ومن أولي الرأي والحزم ، أسلم في الحديبية وولي جيش: ذات السلاسل ، وولي عمان لرسول الله (ص) ، وفتح قنسرين وغيرها.
انظر : ابن حزم (محمد على بن أحمد) – جمهرة أنساب العرب دار الكتب العلمية – ط١ بيروت ١٩٨٣ صـ ١٦٣ ، ١٦٤ وانظر الزركلي (خير الدين) – الأعلام – م٦ دار العلم للملايين – بيروت صـ ٧٩ .

(٢) واسمه حسام ، وقيل عويف كان أخاً لعثمان بن عفان في الرضاعة ، وطلب عثمان الشفاعة فيه عندما أهدر الرسول (ص) دمه فعفا عنه ، وولاه =

العناية بأمر البحر وبناء اسطول إسلامي عربي لحماية البلاد من عــودة أو طمع أي معتد عليها ، فشرع في بناء الأسطول الذي تكون من مائتي سفينة ساعدت على هزيمة كونستانت Constant إمبراطــور الــروم (البيزنطي) الذي قاد ستمائة سفينة وقيــل ألفــاً متجهــاً بهــا صــوب الإسكندرية ، إلا أن ابن أبي السرح ألحق بهم هزيمة منكرة في معركــة ذات الصواري [1] سنة ٣٤ هــ .

وتعد المعركة (ذات الصواري) فاتحة انتصارات بحرية وميداناً اكتسب فيه المسلمون خبرة بحرية ساعدت العرب بعد ذلك وشجعتهم في الاستيلاء علي العديد من جزر بحر الروم إضافة إلي العديد من أجــزاء

=

عثمان مصر فحمل منها خراجاً مضاعفاً ، وكانت وفاته في سنة ٣٦هــ بعد أن ولي مصر اثنتي عشرة سنة ودفن في فلسطين (رضى الله عنه) انظــر : ابــن إياس (محمد بن أحمد) – بدائع الزهور في وقائع الدهور – حـــــ١ – ق١ – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – ١٩٨٢ – ص ١١٢ ، ١١٤.

(١) ذكر أبو عمرو الكندي : إنما سميت غزوة ذات الصواري لكثرة صــواري المركب واجتماعها حيث ربطت السفن ببعضها بسلاسل لتقاتل الروم متلاحمــة في البحر كأنها علي البر .

انظر : المقريزي (أحمد بن علي) – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثــار – جــ١ – دار صادر – بيروت صــ ١٦٩ . وفي الصــفحة ذاتهــا تفاصــيل المعركة .

الشاطيء الأوروبي [١] ، ويبدو أن معركة ذات الصواري هذه قد شكلت دفعة قوية للبحرية الإسلامية ، وبات المسلمون منذ هذا التاريخ يتوسعون أكثر فاكثر في أمر صناعة السفن ، واتخاذ التدابير اللازمة للملاحة ، وإعداد الأساطيل الحربية ، فظهر في العصر الأموي ثلاثة أساطيل كل منها يعتمد علي إقليم بحري خاص به ، الأساطيل هي : الأسطول المصري الذي كان الإنفاق عليه سخياً بلغ سبعة آلاف دينار سنوياً ، والثاني هو الأسطول السوري الذي تضخم وعظم أمره بسبب استقدام معاوية لبناة السفن من المصريين فصنعوا داراً في عكا أتمت بناء العديد من السفن حتي باتت عكا أهم قاعدة بحرية في الشام ككل .

أما الأسطول الثالث فهو أسطول الشمال الأفريقي الذي عني بأمره عبد الملك بن مروان [٢] عندما أمر بإرسال العمال المصريين

---

(١) عبد العزيز حافظ دنيا – معركة الصواري فتح جديد – ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار – اتحاد المؤرخين نوفمبر ١٩٩٣م – القاهرة – ص٢٨٢ وما بعدها .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي يعُد من أعظم الخلفاء واكثرهم دهاءً حيث نشأ فقيهاً ناسكاً بالمدينة المنورة ، وتولي أمرها لمعاوية ولم يبلغ الستة عشر عاماً ، ثم انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥هـ ، وعُربت في عهده الدواوين ، وصك الدنانير ، ونقش بالعربية علي الدراهم وغيرها من الأعمال وتوفي عبد الملك في سنة ٨٦ هـ عن عمر بلغ ستاً وستين عاماً ، بعد أن ظل في الحكم إحدي وعشرين عاماً .

=

المهرة لإنشاء أسطول بحري قوي إسلامي ساعد موسى بن نصير [١] في كثير من أعماله وفتوحاته ، وقد تكون أسطول الشمال الأفريقي بعد سنة ٧٠٠م في حوالي ٧٠٤م . وكان لقبط مصر الفضل في تكوينه وتشييد دور الصناعة في أفريقية عندما استعان حسان بن النعمان (والي أفريقية من قبل عبد الملك بن مروان) بألف من أقباط مصر كخبراء في بناء ترسانة بحرية لصناعة السفن فيها [٢] .

=

المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – حـ ٣ – ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م – ص ٩٩ .

وانظر : الزركلي (خير الدين) – الأعلام – م ٤ – صـ ١٦٥ .

(١) أبو عبد الرحمن اللخمي صاحب فتح الأندلس وهو من الرواة والتابعين حيث ولد في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ / وتوفي بمر الظهران أو بوادي القري (علي اختلاف) عندما كان يحج مع سليمان بن عبد الملك في بداية عهده ، تولي موسي أمر أفريقية سنة ٧٧ هـ / فأخضع البربر ، وقد ذكر معاصرو موسي بن نصير أنه كان عاقلاً كريما لا يهزم له جيش ، وهو الذي أمر طارق بن زياد بفتح الأندلس ثم لحق بجيش فأتم معه الفتح ، وكان والده نصير كبير حرس معاوية ، واثيراً لديه.

انظر : ابن خلكان (أحمد بن محمد) – وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان – تحقيق د/ احسان عباس – دار الفكر ودار صادر –م٥ – بيروت – ص٣١٨ وما بعدها .

(٢) د/ سيدة إسماعيل كاشف – مصر في فجر الإسلام – بيروت – دار الرائد العربي – ١٩٨٦م صـ ٩٣، ٩٢.

وتجدر الإشارة إلي أن أسطول الشمال الأفريقي قد كان مستقلا في تحركاته، بينما كان الأسطولان السوري والمصري يتعاونان في بعض الأعمال والنشاط البحري الدائم .

ويبدو أن عناية المسلمين بأمر الأساطيل البحرية في كل من مصر والشام ، والشمال الأفريقي قد اشتدت الحاجة إليها بسبب استمرارية اعتداءات الروم علي السواحل الإسلامية علي الرغم من أن أغلب هذه الاعتداءات كانت بغتة وخاطفة لذا لزم حراسة الموانيء والسواحل الإسلامية بسفن حربية عديدة [١] .

وقد بلغ من اهتمام ولاة المسلمين بأمر البحرية وبناء السفن لصد غارات الروم أن وصل عدد السفن التي بناها أحمد بن طولون [٢] (الصغيرة

([١]) د/ سعاد ماهر – البحرية الإسلامية وآثارها الباقية – وزارة الثقافة – مصر – ١٩٦٧م – ص ٨٧ ، ٨٨ .

([٢]) هو أبو العباس صاحب الديار المصرية والشامية ، ولاه المعتز أمر مصر ، واستولي هو علي العديد من الثغور ، وكذلك الشام ، وصفه أبن خلكان بأنه كان عادلاً شجاعاً جواداً بني جامعة في سنة ٢٥٩ هـ وقيل ٢٦٦هـ وكان أبوه مملوكاً أهدي للمأمون فولد أحمد بسامراء سنة ٢٢٠هـ وتوفي سنة ٢٧٠هـ . انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م١– صـ ١٧٣ ، ١٧٤ . ولابن طولون سيرة متكاملة في شتي شؤون حياته صغيرها وكبيرها جمعها محمد المديني البلوي في كتابة : سيرة أحمد بن طولون حققه وعلق عليه محمد كرد علي – الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة – ١٩٩٩م .

والكبيرة) ما يربو علي الألف قطعة بحرية [١] منهم مائتي مركب بآلتها من المراكب الحربية الكبيرة [٢] .

بداية الفاطميين في المغرب العربي :

ظهرت دعوة الفاطميين بالشمال الأفريقي على يد رجلين من شيعة العبيديين هما : الحلواني ، والسفياني فنزلا بأرض كتامة يدعون البربر إلي الرضا من آل محمد ، ثم شخص دعاة آخرون [٣] اختلف عليهم البربر بين مؤيد ومعارض حتي تمكن أنصار المهدي الفاطمي من الاستيلاء علي بعض القرى والمدن فوجه إليهم إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عشرين ألفاً من رجاله يقودهم ولده الأحول الذي لم يصل معهم إلي نتيجة حاسمة ، وانشغلت دولة الأغالبة بخلافاتها علي الحكم ، مما مهد للفاطميين السبيل للانتشار في الشمال الأفريقي ، والاستعداد لاستقبال خليفتهم الذي استقر له الأمر أخيراً ، وهو **عبيد الله المهدي**[٤] .

---

(١) سعاد ماهر – البحرية – صـ ٩٣ .

(٢) النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د / محمد أمين ، حـ ٢٨ ، مركز تحقيق التراث القاهرة – ١٩٨٦م – ص ٢٢ .

(٣) كان من بينهم أبو عبد الله الشيعي .

(٤) هو أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي أختلاف كثير في نسبه وأصله (نضرب الصفح عن هذا الاختلاف) ، وقد =

وقبل وصول المهدي إلي إفريقية كان داعيته أبو عبد الله الشيعي قد مهد له البسيل ، واستولي علي ملك الأغالبة حيث دانت البلاد للمهدي دون معرفة به ، وما أن استقرت الأحوال حتي ظهر عبيد الله ، وتم إعلان أنه الخليفة المنتظر ، وبويع له بالأمر في مدينة سجلماسة [١] سنة ٢٩٦ هـ بعد أن حمل لقب أمير المؤمنين ، ثم أخذ ينظم شؤون دولته التي اشتملت علي بلاد صقيلة بجانب إفريقية ، وتعيين العمال عليها ، وتنظيم أمر القادة والجيوش وإرسال الدعاة إلي العديد من النواحي والأمصار [٢] .

=

استتر هو واهله خوفاً من خلفاء بني العباس ، وكانت ولادة عبيد الله المهدي في سنة تسع وخمسين ومائتين بمدينة سلمية بالشام ، وقيل بالكوفة ، وتوفي بمدينة المهدية (العاصمة التي بناها) بإفريقية سنة ٣٢٢هـ

انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان –م٣ – صـ ١١٧ – ١١٩ .

(١) سجلماسة بكسر أوله وثانية وسكون اللام هي في جنوبي المغرب بالقرب من بلاد السودان تقع في وسط رمال ، يمر بها نهر كبير ، وبها تمر متعدد الأصناف ، وكان أهلها في حالة من الغني لوقوعها علي طريق التجارة المؤدي إلي غانة (بلاد الذهب) .

انظر : ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله) معجم البلدان – حـ ٣– دار صادر بيروت – ١٩٧٩ صـ ١٩٢ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك عند :

المقريزي – الخطط –م١ – ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ . وابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) – العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن =

ليس هذه فحسب بل عمد المهدي إلي عدة إجراءات سريعة أراد منها تثبيت أقدامه ودولته عندما استغل ضعف الدول الثلاث في المغرب العربي ، وورثها جميعاً بعد أن سيطر علي ممتلكاتها وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية ، وكذلك السياسية ، وكانت البداية بمنطقة تونس التي سيطر فيها علي ملك الأغالبة – كما أشرنا – ثم مد المهدي بسيطرته إلي الجزائر ، وهناك أسقط ملك آل رستم ثم انتقل إلي مراكش حيث كان هناك الأدارسة فتم للفاطميين القضاء علي بقايا ملكهم فيها ، وبذلك دان لهم الشمال الأفريقي كله ، وبني المهدي (عبد الله) عاصمة ملكة الجديدة : **المهدية سنة ٣٠٣ هـ** بعد أن اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، وإمام الملة المحمدية كذلك وكان المهدي قد بدأ ملكه بتصفية من خشي منهم عليه فتخلص من أكبر دعاته الذي مكن له في بلاد المغرب (**أبو عبد الله الشيعي**) سنة ٢٩٧هـ وتخلص بالقتل كذلك من أخيه أبي العباس حيث كان يتوجس خيفة من كليهما [١] .

وما أن بدأت الأحوال تجنح للاستقرار في المغرب للفاطميين حتي أخذ المهدي وأعوانه يفكرون في غزو مصر والاستيلاء عليها هذه المحاولة التي تكررت مرتين في عهد المهدي سنة ٣٠٢هـ /٩١٣م ،

=

عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – حـ ٣ – مؤسسة الأعلمي – بيروت – ١٩٧١ – صـ ٣٦٠ وما بعدها .

(١) أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي – حـ ٤ – مكتبة النهضة المصرية طـ ١١ – القاهرة – صـ ٣٢٧

وفي سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩ م ، ثم في عهد ابنه القائم بأمر الله سنة ٣٢٣ هـ /٩٣٤م دون أن تصل إلي نتيجة تذكر .

وفي ذلك يذكر المقريزي : " وفي سنة اثنتين وثلاثمائة دخل حباسة [١] في جيوش إفريقية إلي الإسكندرية في المحرم ومعه مائة ألف أو زيادة عليها ... ونودي بالنفير في الفسطاط فلم يتخلف عن الخروج إلي الجيزة أحد ... فلقوه وهزموه ، ثم دار عليهم فقتل من أهل مصر نحو عشرة آلاف ، ونهض حباسة إلي إفريقية " . [٢]

وهذا العدد الذي ذكره المقريزي لجنود المهدي (مائة ألف) ربما يدلنا علي مدي ما وصل إليه جيش الفاطميين من اكتمال وكثرة عددية ، وربما يكون الأهم هو مدي عظم وكثرة أعداد السفن التي أعدت لنقل المائة ألف مقاتل من إفريقية إلي مصر ولا سيما أن تاريخ هذه المحاولة كان بعد بداية دولة المهدي بخمس سنوات فقط ، ولكن التفسير الأقرب للمنطق هو أن الفاطميين قد ورثوا الأسطول الأغلبي [٣] .

---

(١) قائد الجيش والأسطول الفاطمي ، إلا أن ابن خلدون يذكره باسم خفاشة الكتابي وهو الأصح لأن أبن خلدون يرجح فيما يخص المغرب .
انظر : عبد الرحمن أبن خلدون – العبر – حـ٣ – صـ ٣٦٨ .

(٢) المقريزي – الخطط –م١ – ص١٧٤ ، هناك تفاصيل أخري عن محاولات فتح الفاطميين وغزوهم لمصر في صـ ٣٢٧، ٣٢٩ المصدر نفسه .

(٣) فقد كان أسطول الأغالبة الحربي قد وصل إلي درجة من القوة والاتقان والخبرة التي اكتسبها رجاله من اتصالهم بصقلية ، وجهادهم ضد البيزنطيين ، إضافة إلي أن قطع الأسطول الأغلبي قد ظل سليماً لم يمس خاصة ما كان منه =

بعد أن تمكنوا من القضاء علي دولة الأغالبة ، والاستيلاء علي كل ممتلكاتها والبلدان التي كانت تسيطر عليها ، فضلا عن الخبرة البحرية التي كانت لبعض عمال الدولة التي غربت عنها الشمس فاستفادت منها الدولة الناشئة الجديدة في إقامة أسطول قوي وكبير ليكون علي قدر المسؤولية والاستعداد لمواجهات قد تاتي من الشرق ، وأخري من المغرب الأوروبي.

وكان الفاطميون قد عمدوا منذ قيام دولتهم في المغرب العربي إلي وضع استراتيجية خاصة بهم ، وأهداف لا يحيدون عنها كان علي رأسها الاستيلاء علي أكبر قدر ممكن من المشرق الإسلامي ، وهي الأرضية الأصلية للدعوة الإسلامية التي أرادوا نشر دعوتهم الفاطمية الشيعية فيها ، ولهذا السبب كان التركيز فقط علي إفريقية كنقطة ارتكاز وانطلاق إلي الشرق بعد ضمان أطراف آمنة وقواعد ثابتة غرباً في المغرب الأوسط ، وشرقاً في برقة وطرابلس ، وبحراً في صقلية (الإيطالية) . [1]

=

رابضاً في سوسة وتونس ، وبلرم عندما انتهت دولة الأغالبة بهروب آخر حاكم لهم وهو زيادة الله .

انظر : Dachraoui- F , Le Califat Fatimide au Magreb 296 – 362 909-973- Histoire Politique et institions Tunis STD 1981.

(1) فتحها قاضي القيروان أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ بأمر من زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في خلافة هارون الرشيد ، ويذكر ياقوت أن بينها وبين إفريقية مائة وأربعين ميلاً ويكثر فيها الذهب ومعادن أخري ، كما أن بها أنواعاً =

وكان من أهداف واستراتيجية الفاطميين كذلك السيطرة الكاملة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وهو ما حدا بهم إلي بناء المهدية عاصمتهم الأولى، ثم إعادة بناء واستكمال أسطول سوسة ، والحرص كذلك علي وصول سيطرتهم الكاملة علي طرابلس وبرقة اللتان علي الطريق المؤدي إلي مصر الهدف الأكبر المنشود لديهم حتي يتثني لهم بعد الإحاطة بتجارة الشرق التي تاتي عبر البحر الأحمر واليمن [1] من أجل ذلك كان عليهم العناية بامر الأسطول الذي بدونة لا يمكن تحقيق أي من الأهداف التي سبق التنويه لها ، فكان عليهم إقامة وبناء أسطول قوي ذي ذراع طويلة بملاحين ومقاتلين علي أعلي مستوي من التدريب لبسط السيطرة علي كل النواحي المذكورة .

والدليل علي ذلك ما يذكره حسين مؤنس عن البحرية الفاطمية : " أن الفاطميين كانوا أعظم دول الإسلام اهتماماً بشؤون البحر بعد

=

كثيرة لا تحصي من الفاكهة ، والمواشي ، وفي وسطها جبل يسمي قصر يانة أعتبره من عجائب الدهر .

انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – حـ٣ – صـ ٤١٦ ، ٤١٧ .

(١) د/ أيمن فؤاد سيد – الدولة الفاطمية في مصر – الدار المصرية اللبنانية – ط٢ – القاهرة – ٢٠٠٠م – صـ ١٣٥ ، ١٣٦ .

الأمويين ، وأن بحريتهم قد بلغت درجة هائلة من القوة والانتظام قبل أن ينتقلوا إلي مصر ". [١]

ربما يؤكد ذلك تمكن الفاطميين من السيطرة السريعة علي صقلية ، وإرسال الأسطول الفاطمي إلي هناك لإحكام قبضتهم علي تلك المناطق الأوروبية ، فقد حدثنا ابن خلدون : أنه في سنة ٢٩٩ هـ أي بعد استيلاء الفاطميين علي بلاد المغرب بعامين اثنين ، وقيام دولتهم هناك أرسل المهدي أحد قواده وهو الحسن بن أحمد بن أبي خنزير إلي صقلية فوصل إلي مازر وقت عيد الأضحي ، وكان معه أسطول ساعده علي بسط سيطرة الفاطميين علي المنطقة ، إلا أن أهالي البلاد قد اعترضوا وثاروا عليه ، [٢] فارسل المهدي قائداً غيره هو علي بن عمر البلوي ، ولما ثار عليه أهالي صقلية هو الآخر أرسل عليهم المهدي أساطيله في البحر فأفسد أمر الثوار ، واضطر أهل صقلية إلي إرسال زعماء التمرد حيث أمر المهدي بقتلهم على قبر الحسن بن أبي خنزير الذي كان الثوار قد قتلوه واحرقوا سفنه في العام نفسه سنة ٣٠٠ هـ [٣]

وقد ساعد استيلاء الفاطميين علي صقلية في بداية تكوين دولتهم إلي تسهيل عملية حصولهم علي العديد من لوازم إنشاء وصناعة السفن

---

(١) د/ حسين مؤنس – المجلة التاريخية – عدد ٤ مايو سنة ١٩٥١ م بحث بعنوان : " المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلي الحروب الصليبية " – صـ ١٠٦ .

(٢) ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر – حـ٣ – ص ٣٦٥ .

(٣) ابن خلدون – العبر – جـ ٣ – ص ٣٦٦ .

من مناجم بلرم ومصانعها كما حصلوا علي معادن أخري عديدة مثل الرصاص والفضة والحديد من مناجم مدينة مجانة [١] بالمغرب[٢]

وهذا يدلنا علي مدي عناية حكام الدولة الفاطمية منذ بدايتها بأمر الأسطول ، ولا سيما أول هؤلاء الحكام حيث عني المهدي منذ إعلانه دولته بإعادة ترتيب الأساطيل التي استولي عليها من حكام المغرب ، ولا سيما الأغالبة ، وما استجده منها أو أعاد إصلاحه وتسييره في البحار المحيطة به ، وانتهج أسلوباً هجومياً مستمراً كما رأينا بالنسبة لصقلية [٣] ومصر وغيرها فبدأت الدول المحيطة تخشي بأس الفاطميين الحربي ، ومنه القوي البحرية باسطولهم الضارب ذي الذراع الطويلة التي صنع لها الروم والعباسيون وغيرهم ألف حساب .

ومن أجل المحافظة علي قوة الأسطول ، وصيانته ، وإنشاء قطع جديدة تساعد علي تحقيق أهداف الفاطميين أنشأ المهدي علي ساحل عاصمته المهدية حوضاً ضخماً للسفن كترسانة بحرية للإنشاء وإصلاح

---

(١)مجانة : بفتح الميم بلد بأفريقية فتحها بسر بن أرطاة بأمر عقبة بن نافع أو موسي بن نصير علي اختلاف في ذلك ، ولذلك تُسمي قلعة بُسر – وبها زغفران كثير ، ومعادن الفضة والحديد وتبلغ المسافة بينها وبين القيروان خمس مراحل ، وتوجد معادن والحديد والرصاص في جبل بجنوبها .

انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – حـ ٥ – ص ٥٦ .

البلاذري – فتوح البلدان – تحقيق عبد الله الطباع وأخيه – مؤسسة المعارف – بيروت – ١٩٨٧ م – ص ٣١٩ .

(٢) د/ صابر دياب – مرجع سابق – ص١٠٧ .

(٣) Dashraoui, F. of . cit . p . 383

ما يحتاج الى ترميم وعناية ، ولم يمض وقت طويل حتي كان للفاطميين ما يربو علي ٩٠٠ سفينة حربية ضاربة في عرض البحـــر ، وتمخـــر عبابه للحفاظ علي المواني التي باتت تابعة لهم .

ووصلت ضربات هذا الأسطول الفاطمي الى السواحل الإيطالية حتي جنوا ، والى العديد من السواحل والمدن الغربية للبحر الأبيض المتوسط ، أما بلاد الأندلس فلم يشأ الفاطميون أن يصطدموا بأسطولها القوي حتي لايكون هناك إضعاف للاثنين معاً [١] فتحاشا كل منهما الاصطدام بالآخر [٢]

هذا بالإضافة الى أن الفاطميين قد كان هدفهم الاستراتيجي هو المشرق أكثر من اتجاههم للغرب صوب الأندلس ، وربما كانت عنايتهم بأمر صقلية ، والشواطئ الأوروبية الأخري قد كان بدافع تجاري اقتصادي ، وكذلك الحصول علي الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وبعض المواد الأخري ، أما هدفهم الذي سعوا إليه هو مصر أولاً ومنها الاتجاه لمناطق المشرق الأخري.

---

(١) تذكر سارنللي تشركو : أنه قد وقع نفور شديد من أول الأمر بين الفاطميين والأندلسيين ، وأخذ كل منهما حذره من الآخر ، وهذا الأمر كما كان علي البر، كان كذلك في البحر فأخذت سفن كل منهما تتعقب سفن الآخر ، وكانـــت كـــل منهما تحذر الآخر في سواحلها .

أنظر : كليليا سارنللي تشركوا مجاهد العامري قائد الأسطول الغربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري – لجنـــة البيـــان العربـــي – ط١– ١٩٦١م– ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) shabon, A. Islamic History, Cambridge-1976, P192-193

ولذا تكررت محاولة الفاطميين كما أسلفنا وأشرنا الى المحاولة الأولي ، أما الثانية : في سنة ٣٠٧ هـ فيذكر عنها ابن خلدون ما يفيد أن الفاطميين في مستهل إنشاء دولتهم ولم يمض عليها سوي عشر سنوات فقط قد أعدوا جيشاً كبيراً يقوده أبو القاسم ابن عبيد الله المهدي [١] فوصل الإسكندرية في ربيع الآخر ، واستولي عليها، ثم وصل العاصمة المصرية واستولي علي الجيزة ، ثم علي الصعيد المصري ، وأوشكت المحاولة أن تكتمل حتي أن أبا القاسم قد أرسل الى أهل مكة ليعلنوا له الطاعة دون أن يجيبوه إلا أن الخليفة العباسي المقتدر [٢] قد

---

(١) كان جيش الفاطميين الذي هاجم مصر في سنة ٣٠٧ هـ هو جيش بحري في معظمه ، وتولي قيادته أحد أمراء البحر الذي كان يعمل في الأسطول الفاطمي ، وقد اشتركت في هذه الحملة البحرية وحدات من اسطول الفاطميين التي كانت مرابطة في صقلية ، ووحدات أخري كانت جزءاً من أسطول الشمال الأفريقي . =

أنظر : د/ صابر محمد دياب – سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتي نهاية العصر الفاطمي – عالم الكتب – القاهرة ١٩٧٣ م– ص ١٠٦

(٢) هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد كان مولده في رمضان سنة ٢٨٢هـ، أمه شغب ، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي ، ولصغر سنه (١٣ سنة) أراد الجند خلعة سنة ٢٩٦هـ ، لكنهم فشلوا في ذلك كان جواداً ذو عقل جيد وفهم وذهن صحيح – كما يصفه ابن كثير – وأكثر من الصقالبة والفرس والروم في حاشيته وخدامه مسرفاً في إنفاقه كثير العزل لولاته وعماله وقواده حتي كان موته وهلاكه علي يدغلمان أحد قواده وهو مؤنس الخادم (الذي انقذ =

بادر بإرسال أحد قواده، وهو مؤنس الخادم الذي لقب بالمظفر الى مصر لمدافعة الفاطميين ، ودارت الحروب بين الطرفين نجح في أغلبها مؤنس الخادم العباسي ، وما أن علم الفاطميون بالأمر حيت أرسلوا أسطولا كبيراً مكوناً من ثمانين سفينة حربية يقودها كل من سليمان الخادم ويعقوب الكتامي حينئذ أرسل المقتدر أسطول طرسوس الذي كان مكوناً من خمس وعشرين سفينة ، وعليهم قائد يدعي أبو اليمن .

وقد تمكن العباسيون من هزيمة الأسطول الفاطمي ، وأسر القائدين الفاطميين (سليمان الخادم) ، ويعقوب الكتامي والأخير هو الذي نقل الى بغداد ، ثم تمكن من الفرار ، وعاد الى إفريقية . (١)

ومن هذه لحملات البحرية الكبيرة الى صقلية ومصر يمكننا أن نستشعر مدي الاهتمام بالبحرية والأسطول الفاطمي الذي بات يطرق أبواب مصر للاستيلاء عليها، وبالفعل تمكن منها في سنة ٣٠٧ هـ إلا أن العباسيين قد أجبروهم علي الخروج والعودة الى إفريقية بعد معارك دامية بين الطرفين .

=

مصر من الفاطميين سنة ٣٠٧ هـ) وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة واحد عشر شهراً .

أنظر : ابن كثير (اسماعيل ابو الفدا) البداية والنهاية – جـ١١– ط٢– مكتبة المعارف – ط ٢– بيروت – لبنان ١٩٩٠ م ص ١٦٩ ، ١٧٠

(١) ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر – جـ ٣ – ص ٣٧١

الأسطول في عهد المعز لدين اللّه الفاطمي :

لم يقتصر أمر عناية الفاطميين بالأسطول وإعداد السفن الحربية اللازمة لشد أزره علي المهدي بل عني خلفاؤه من بعده باستمرارية النهج نفسه حيث تابع هؤلاء الخلفاء الفاطميون إنشاء القواعد البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط وما أن تولي المعز لدين الله الحكم الفاطمي حتي أمر بتغيير موقع دار الصناعة من المهدية التي باتت لا تفي بالغرض، والحاجة الى تعظيم أمر الأسطول ، فاتجه الى تجديد وتوسيع مدينة سوسة الساحلية (١) التي تعد مناسبة أكثر لهذا الغرض حيث يحيط بها البحر من جهات ثلاث فتمثل بذلك شبه جزيرة تصلح لرسو وإقلاع السفن بسهولة ويسر ، إضافة الى كثرة الحجارة القريبة منها ، وهي تساعد علي حماية المدينة من خطر الأمواج وهياجها ، وبذلك أصبحت المدينة الأخيرة إحدي القواعد البحرية الفاطمية بجانب القاعدة الأولي الموجودة في عاصمة الدولة وهي المهدية .

---

(١) سوسة : بلفظ واحد السوس الذي يكون في الصوف وهي بلد في المغرب مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة يضرب الى الصفرة – وكان بين سوسة والمهدية عاصمة الفاطميين مسيرة ثلاثة أيام ، وبين سوسة والقيروان ستة وثلاثون ميلا ، وكان زيادة الله بن الأغلب قد بني عليها سوراً أحاط بها .
انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – جـ ٣-١٨١-١٨٣

ليس هذا فحسب بل كانت هناك قاعدة ثالثة ترابط فيها سفن ووحدات بحرية في صقلية يشرف عليها مباشرة ولاة الجنوب الإيطالي الفاطميين . (١)

وقد وصلنا وصف الأسطول الفاطمي جاء ضمن قصيدة يمدح فيها ابن هانئ الأندلس(٢) **المعز لدين الله ، ومدي سيطرة أسطوله علي حوض غربي البحر الأبيض المتوسط فيقول ابن هانئ :-**

لك البر والبحر الغطمٌّ عبابه فسيان أغمار تخاض وبيد

أما والجواري المنشآت التي سرت لقد ظاهرتها عدة وعديد

قباب كما ترخي القباب علي المها ولكن ما انضمت عليه أسود

ولله مما لايرون كتائب مسومة تحدو بها وجنود

---

(١) د/ أيمن سيد أحمد – الدولة الفاطمية في مصر – ص ٧٢٦.

(٢)ابن هاني : هو محمد بي هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلس أبو القاسم الذي يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، وابن هانئ هو أشعر أهل المغرب قاطبة ، وهو عندهم كالمتنبي في الشرق وقد تعاصرا ، ولد ابن هانئ باشبيلية ، ورحل الى بلاد المغرب فاتصل بالمعز لدين الله الفاطمي ، ثم ذهب لإحضار أهله من إشبيلية للحاق بالمعز الذي انتقل إلى مصر ، ولكن ابن هانئ قتل في برقة سنة ٣٦٢هـ /٩٧٣م.

انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٤ – ص ٤٢١ وما بعدها

و: الزركلي – الأعلام – م ٧ ص ١٣٠.

وما راع ملك الروم إلا اطلاعها تنشر أعلام لها وبنود

وعليها غمام مكفهر صبيره له بارقات جمة ورعود

مواخرفي طامي العباب كأنه لعزمك بأس أو لكفك جود

أناقت لها أعلامها وسما لها بناء علي غير العراء مشيد

إذا زفرت غيظاً ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود

فأنفاسهن الحاميات صواعق وأفواههن الزافرات حديد[1]

ويفهم من هذا الأبيات مدي شدة بأس سفن الأسطول الفاطمي ، وأنها كانت تطلق نيراناً شديدة التأثير والتدمير علي سفن ومواقع الأعداء .

وقد كانت هناك رسائل متبادلة بين المعز ، وبين كاتبة جَوْدر الصّقْلبي دلت أيما دلالة علي مدي عناية واهتمام المعز بأسطوله ،وكيفية تلبية احتياجاته ، واستمرارية تطويره بشكل دائم ، كما أنه أولي عناية بترميم الحصون الساحلية ، وصيانة الثغور والموانى ، وكذلك دور الصناعة التي أوجدها الفاطميون في كل من المهدية ، وسوسة والمنصورية .

---

(١) محمد بن هانئ الأندلس – ديوان ابن هانئ – تحقيق محمد اليعلاوي – دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٤م– ص ٩٢، ٩٣.

ونظراً لوجود الأعداء والمنافسين سواء كان ذلك من جانب الروم أم من جانب الأمويين بالأندلس فقد كان المعز دائم المتابعة ، وإصدار للأوامر بتشديد الحراسة في البحر بالسفن التي تمخر عبابه لحمايه سواحل الدولة في أفريقية من الغارات المباغتة والمفاجئة لاسيما من جانب الدولة البيزنطية [١]

ويبدو وأن قاعدة المهدية ظلت طوال فترة الوجود الفاطمي في الشمال الأفريقي هي القاعدة الأم حيث كان يقيم بها القائد العام للأسطول الذي أطلق عليه : صاحب البحر أو متولي البحر ، وهو يقود بقية القادة في المناطق والقواعد الأخري التي سبق الإشارة إليها وهم يرجعون إليه لأنهم قواد مشرفون علي وحدات الأسطول ، أما صاحب البحر فكان يعمل تحت إمرة ومتابعة الأستاذ جوذر الصقلبي الذي كان بمثابة كاتب المعز[٢]

كما كانت هناك اتصالات عديدة بين الفاطميين في الشمال الأفريقي ، وبين الإخشيديين في مصر للتعاون معاً بين الأسطولين في ضرب أساطيل الروم التي تهدد السواحل الإسلامية ، وقد دفع الفاطميين لعمل الاتصالات أن الإخشيديين قد اعتنوا أيضاً بصناعة السفن حيث اهتم

---

(١) د/ صابر ديان – سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط – ص ١٠٣ ، ١٠٥

وانظر :د / أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية – ص ٧٢٧

(٢) dachraowi F. op.cit, p. 392-393

محمد بن طغج الإخشيدي [١] بانشاء السفن البحرية ، فنقل جزءاً من دار صناعة السفن من مقرها في جزيرة الروضة الى الفسطاط في دار أطلق عليها :" صناعة السفن " ، وأصبح هناك موقعان لصناعة السفن .

كما أن دعوة أهل إقريطش [٢] الذين لم يجدوا في الاتصال بالعباسيين نتيجة تذكر بسبب ضعف الخلافة ، فبادر هؤلاء من أهالي وزعماء إقريطش بالاتصال مباشرة بالخليفة الفاطمي في الشمال الأفريقي : المعز لدين الله يسألونه أن يهتم بنجدة جزيرتهم من ضربات وتهديد الروم لهم ، ونقلوا الانزعاج الذي يعانون منه ، وخشيتهم من ضياع

---

(١)هو محمد بن طغج أبو بكر مؤسس الدولة الإخشيدية بمصر والشام ، وهو تركي الأصل ، ولد ونشأ في بغداد ، وتقلب في الأعمال الى أن ولي مصر ، واستقر بها سنة ٣٢٣هـ ، فكان له جيش كبير مكون من ٤٠٠ ألف ، وحرس يحرسة كل ليلة الفين من المماليك حيث لم يكن يثق في أحد ، وتوفي بدمشق ثم دفن في بيت المقدس ، وهو أستاذ كافور الإخشيدي ، ويعني الإخشيد (ملك الملوك) ، وقيل آخشيد يعني شمس بيضاء.

انظر : ترجمته في : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٥– ص ٥٦ وما بعدها . والزركلي – الأعلام م٦ ص ١٧٤.

(٢) إقريطش : هي جزيرة كبيرة بها مدن وقري ، وقد غزاها جنادة بن أبي أمية الأزدي بعد أرواد في سنة ٥٤ هـ وغزاها حميد بن معيوف الهمداني في خلافة الرشيد ، وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكاية علي الروم ، وأخذها أرمانوس بن قسطنطنيين في محرم سنة ٣٥٠هـ ، ونسب لها مجموعة من الرواة .

انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – جـ ١– ص ٢٣٦.

جزيرتهم في أيدي الروم وهو ما يؤدي في النهاية الى ازدياد قوتهم البحرية ، وتهديدهم لسواحل مصر والشام .

وقد حاول أهل إقريطش تزيين الأمر للمعز بأن مشاركة الأسطول الفاطمي في ضرب الروم سيتيح له فرصة الحصول علي قاعدة حربية متقدمة في مواجهة القسطنطينية (عاصمة الروم) ، ويهئ كذلك للفاطميين الحصول علي مركز للسيادة شرق البحر الأبيض المتوسط(١).

ويبدو أن المعز قد وجد في هذا العرض ، وتلك النجدة المطلوبة لأهل إقريطش فرصة اهتبلها ، وحاول استغلالها أيما استغلال :-

فهو في البداية قد اتصل بالإخشيديين ، وطلب منهم إعداد أسطول مصري يسير جنباً الى جنب مع الأسطول الفاطمي لنجدة أهل إقريطش علي أن يكون الاثنان معاً علي قدم المساواة ، وذكر ذلك في خطابه الذي بعث به الى كافور (٢) الذي أُصبحت له الوصاية علي أولاد الإخشيد :

---

(١) د / سعاد ماهر – البحرية في مصر الإسلامية – ص ٩٤

(٢) هو أبو الملك كافور بن عبد الله الإخشيدي ، وكان عبداً لبعض أهل مصر اشتراه أبو بكر محمد بن أغج الإخشيدي سنة ٣١٢ هـ ، وترقي عنده حتي وصل الى رتبة أتابك خاص لولديه وبعد وفاة بن طغج تولي ابنه أبو القاسم أنوجور حكم مصر ، فاعتني كافور بتدبير أمور الدولة له علي أحسن حال حتي توفي أنوجور سنة ٣٤٩ هـ ، وتوفي أخوه كذلك سنة ٣٥٥ هـ ، فاستقل كافور بالحكم رغم شدة سواده فملك مصر والشام والحجاز حتي توفي سنة ٣٥٧هـ

انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٤– ص ٩٩ وما بعدها

"ولاتخش علي مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه إنا لانكون معهم إلا بسبيل خير ، وإنا نحلهم محل رجالنا ، ونجعل أيديهم مع أيدينا ، ونشركهم فيما أفاء الله علينا ، ونقيمهم في ذلك وغيرها مقام رجالنا ومراكبك مقام أساطيلنا ، حتي يفتح الله علينا إن شاء الله ، ثم ينصرفوا إليك ".

وقد اعتمدت الخطة الحربية الفاطمية علي أن يرسل الإخشيديون بأسطولهم الى قاعدة من القواعد الفاطمية في إقليم برقة (١) ، وتبحر القوتان معاً متحدتين الى إقريطش ، إلا أن الضعف الذي أخذ ينخر في عظام الدولة الإخشيدية قد حال دون تحقيق المرام ، وبلغ الضعف مبلغه في مصر حينئذ حتي أن الروم قد تمكنوا ببضع وعشرين مركباً من مهاجمة ميناء ومدينة دمياط في العاشر من يونيه سنة ٩٥٨م فقتلوا وأسروا عدداً من أهل المدينة (٢).

الأسطول الفاطمي في مصر :

زادت عناية المعز لدين الله الفاطمي بأمر الأسطول منذ انتقاله من المغرب الى مصر ليستقر بها ، ونقل إليها حكومة دولته ، فمنذ اليوم الأول عمد الى حماية مقر دولته الجديدة من خطر القرامطة المحدق

---

(١) برقة يذكرها الحموي بأنها : اسم صقع كبير يشتمل علي مدن وقري بين الإسكندرية وإفريقية ، وبين برقة والإسكندرية مسيرة شهر ، ومن برقة الى القيروان مائتان وخمسة عشر فرسخاً ، ونسب إليها مجموعة من العلماء .
انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – جـ١– ص ٣٨٨، ٣٨٩.
(٢) د/ سعاد ماهر – البحرية في مصر الإسلامية – ص ٩٥ ، ٦٩

بمصر والشام ، وحماية سواحل الدولة التي اتسعت اتساعاً كبيراً ضاعف من اهتمامه وعنايته بالأسطول الذي كان عليه أن يجوب البحر من إنطاكية الى الإسكندرية لحماية هذه السواحل الممتدة من خطر وغارات البيزنطيين .

ويبدو أن المعز لدين الله كان ينوي الدخول في مغامرات علي نطاق واسع مع البيزنطيين في منطقة النصف الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط بعد أن نجح في الوصول الى تفوق واضح للقوي الفاطمية في النصف الغربي من هذا الحوض البحري الهام .

ويذكر البعض : أن عناية الفاطميين بالأساطيل وحفظ الثغور والاهتمام بما يخص الجهاد ضد أعداء المسلمين قد بلغ مداه ، إذ كانت أساطيلهم قد رتبت لجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية ودمياط في مصر، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام ، وذلك قبل أن يتغلب عليهم الصليبيون .

كما يذكر أن عدد مراكب وسفن الأسطول الفاطمي في خلافة المعز قد زاد عن ستمائة مركب وسفينة بحرية توزعت ما بين شواني حربية ومسطحات وشلنديات وحمالات ومراكب نيلية [١] ، وقد شاهد الرحالة ناصر خسرو الفارسي أثناء زيارته لمصر سنة ٤٤١ هـ/ ١٠٤٦ م السفن التي كان المعز لدين الله قد استقلها وحضر بها الى مصر من المغرب في سنة ٣٦٢هـ /٩٧٣م ، وكانت رابضة في مكان

(١) المقريزي الخطط جـ ٢- ص١٩٣.

قرب القاهرة وهي عبارة عن سبع سفن طول الواحدة مائة وخمسون ذراعاً ، وعرضها سبعون ذراعاً [١]

وكانت مصر قد فتحت للفاطميين علي يد أحد كبار قوادهم وهو جوهر الصقلي [٢] في شعبان سنة ٣٥٨ هـ إلا أن الحملة التي قادها جوهر كانت حملة برية تكونت من مائة ألف فارس ، ومعه أكثر من الف ومائتي صندوق من الأموال اللازمة للإنفاق علي الحملة حتي نجاحها في اقتحام مصر والسيطرة عليها [٣].

وربما كان التفسير الأقرب للمنطق في كون الحملة برية وليست بحرية هو أن فشل الحملات البحرية السابقة في إتمام أمر فتح مصر ولا سيما في بدايات ظهور الدولة الفاطمية بإفريقية في السنوات ٣٠٢هـ ٣٠٧هـ ، [٤] قد جعل الفاطميين يغيرون الطريقة ، ويحولون الحملات البحرية الى حملة برية كبيرة ، يغلب علي الظن أن الحملة البرية يمكن لها أن تستوعب جيشاً كبيراً جراراً ، بينما الجيش البحري ريما يتقيد بمساحات السفن وما تستوعبه من أعداد الجنود ، ومن الخيل ومعدات

---

(١) د/ أيمن فؤاد سيد – الدولة الفاطمية في مصر – ص ٧٣١ .

(٢) هو جوهر بن عبد الله أبو الحسن المعروف بالكاتب الرومي الذي كان من موالي المعز بن منصور ، وكان من أعماله بجانب فتح مصر للفاطميين : بناء القاهرة المعزية ، وعمارة الجامع الأزهر ، وحكم مصر نيابة عن المعز ما يقرب من أربع سنوات .

أنظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ١ – ص ٣٧٥ وما بعدها

(٣) ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ١–ص٣٧٥ .

(٤) قد سبقت الإشارة الى هذه الحملات في الصفحات السابقة .

الحرب وأدواته ، وكان عليهم إعداد جيش ، ربما يفوق ما يمكن أن تستوعبه السفن مهما كثر عددها .

صناعة السفن ومراكب البحر بمصر

تعددت مواقع بناء وترميم السفن في مصر إبان العصر الفاطمي، كان البعض منها قد أقيم قبل وصول الفاطميين إليها ، والبعض الآخر استحدث بعد دخول الفاطميين ، حتي وصل عددهم الى خمس دور لصناعة السفن والمراكب ، واللوازم البحرية الأخري التي تساعد البحارة علي إنجاز المهام الموكلة إليهم من أسلحة وأدوات ، ومؤن ... الخ .

فعند دخول الفاطميين مصر كان بها في السابق دور صناعية عنيت بأمر البحر في دمياط والفسطاط ، والإسكندرية ، واستحدثت في عهد المعز لدين الله دار الصناعة بالمقس [١] " وهو موضع ميدان رمسيس بالقاهرة في الوقت الحاضر".

دار الصناعة بالمقس :

أنشأ الفاطميون بهذه الدار الصناعية ما يقرب من ستمائة مركب، كان المعز يشرف علي بنائها بنفسه ، ويقرأ عليها بعض التعويذات

---

(١) المقس : كانت عبارة عن قرية صغيرة تسمي أم دنين يفصلها عن منطقة الرملة خليج أمير المؤمنين ثم أطلق عليها المقس ، وهي الآن (في الفترة المعاصرة) تعرف بميدان رمسيس . المقريزي – الخطط – حـ ١ – ص ٣٥٩.

يرافقه في كل مرة قادة جنده علي رأسهم جوهر الصقلي ، كما كان يرافقه كذلك وجوه البلد ، والقاضي النعمان وغيرهم [١]

وقد نقل المقريزي روايتين متضاربتين عمن بني دار الصناعة التي بالمقس فالأولي :ذكر فيها نقلاً عن ابن أبي طي أن المعز لدين الله هو الذي أنشأها وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر ".

والرواية الثانية نقلها عن المسبحي ، ومفادها أن الذي بني دار الصناعة بالمقس هو العزيز بالله بن المعز ، " وعمل المراكب التي لم ير مثلها كبراً ووثاقة وحسناً " [٢]

وللتوفيق بين الروايتين : يبدو أن كلاهما صحيح ما دامت هناك تفاصيل للمعز عن دار الصناعة بالمقس ، وتفاصيل أخري عن ولده العزيز بالله ، وأغلب الظن أن الذي أمر ببناء هذه الدار هو بالفعل المعز ولكن الذي أكملها هو العزيز بالله ، أو أن الأخير قد أمر بالزيادة فيها وتوسعتها فنقل المؤرخون بأنه هو الذي أنشأها .

وقد حدث حريق مدمر علي جزء كبير من الأسطول في المقس في عهد العزيز بالله سنة ٣٨٦ هـ حيث أتت النيران علي كمية كبيرة من المعدات والأسلحة ويبدو أن الحريق كان كبيراً ومتعمداً [٣]إذ أنه لم

---

(١) د/ أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية – ص ٧٣١.

(٢) المقريزي – الخطط – حـ ٢– ص ١٩٥

(٣) فقد اختار الجناة لإشعال الحريق وقت صلاة الجمعة السادس من شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٦ هـ لأن المسلمين جميعاً يذهبون للصلاة ، وربما لايتبقي أحد في المكان فكان من السهل علي الروم إشعال الحريق.

=

يبق في المقس سوي ستة مراكب كانت فارغة في حين قضت النيران علي خمس عشاريات ، وعلي الفور ثار البحارة ثورة عارمة ، واتهموا الروم النصاري الذي كانوا يسكنون بالقرب من دار صناعة المقس بدار ماتك ، وتم الاستيلاء علي ممتلكاتهم وأمتعتهم ، وقتل البحارة منهم مائة وسبعة من الرجال ، وألقوا بجثثهم في الشوارع والطرقات ، أما من بقي منهم فقد تم حبسه في دار صناعة المقس .

وعندما حضر نائب العزيز بالله في غيبته [١] (عيسي بن نسطورس) ، ونائب القاهرة (يانس الصقلبي) ، ومتولي الشرطة (مسعود الصقلبي) أحضروا أسري الروم الذين اعترفوا بأنهم الذين أحرقوا الأسطول [٢]

وعلي أثر السيطرة علي الأمن بعد هذه الفتنة والكارثة التي ألمت بدار الصناعة والأسطول اتجه عمال الدولة الفاطمية علي رأسهم النائب عيسي ابن نسطورس بجمع كل الأخشاب الممكن جمعها ،وجلب الصناع من كل الأنحاء للبدء الفوري في إنشاء عشرين مركبا ، ويذكر في ذلك أن جدية النائب عيسي قد بلغت منتهاها في العناية بجمع الأخشاب لإعادة

=

أنظر: المقريزي – الخطط – جـ ٢–ص ١٩٥.

(١) حيث كان العزيز بالله قد توجه الى الشام قبيل الحريق .

(٢) المقريزي – الخطط – حـ ٢– ص ١٩٥ ، ١٦٩ .

وانظر : النوبري – نهاية الأرب – حـ ٢٨ ص ١٦٣.

بناء الأسطول من جديد حتي أنه لم يدع عند أحد خشباً علم به إلا أخذه منه [١]

وعلي العموم كان عمال الدولة الفاطمية يجمعون الأخشاب الضرورية لصناعة السفن الخاصة بالأسطول الحربي أو سفن للركاب من الحراج وهي أشجار السنط التي كانت تتوافر بكثرة في مناطق البهنساوية وسفط ، والأشمونين ، والأسيوطية ، والأخميمية ، والقوصية ، واتخذت الدولة حُراساً لحمايتها حيث ارتفع ثمن هذه الأخشاب بسبب استخدامها في بناء الأسطول .

ولم يكن الناتج المحلي يكفي لدور صناعة السفن في العصر الفاطمي بمصر، ولذلك فقد عملت الدولة علي توفير بقية احتياجاتها من أخشاب الصنوبر الصقلية أو المغربية ، هذا بالإضافة الى ما كان يرد الى مصر عن طريق سفن البنادقة التي ترسو بالإسكندرية وتبيعها هذه الأخشاب ، الأمر الذي جعل الامبراطور البيزنطي يحتج لدي دوق البندقية بسبب بيع البنادقة للأخشاب التي تصلح لبناء السفن ، فأصدر الدوق أوامره لأصحاب السفن البندقية أن لايبيعوا منها شيئاً للفاطميين بمصر واستثني من ذلك أشجار اللبخ والسنديات بمقاسات معينة حددها دون غيرها[٢]

وقد كان الصراع مستعراً بين الروم ، وبين البلدان الإسلامية وكثر هجوم السفن الرومية علي سواحل المسلمين حتي أنهم بعد سنة

(١) المقريزي – الخطط – حـ ٢ – ص ١٩٦.

(٢) د/ أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية – ص ٧٣٤.

٣٥٠ هـ اشتد أمر هذه السفن الغازية ، واستولوا علي بعض السواحل، الأمر الذي جعل الفاطميين منذ قدم المعز لدين الله الفاطمي الى مصر يهتمون بأمر هذا الأسطول ، ونجح أبناء المعز وخلفاؤه من بعده في النهج نفسه حيث اقتدوا به بسبب عنايتهم واهتمامهم بالجهاد ، وكبح جماح الروم (١)

دار صناعة السفن بالجزيرة ودار خديجة :

هذه الدار كانت في البداية تقع بساحل مصر القديمة ،وموضعها يعرف بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان أمراة أحمد بن طولون ، إلا أن الموقع قد تغير ثم استقرت دار الصناعة في منطقة الجزيرة حتي عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٢)**، ولما تولي المأمون**

---

(١) المقريزي – الخطط – حـ٢– ص ١٩٣ .

(٢) هو أبو علي المنصور بن المستعلي بن المستنصر بويع بالخلافة وهو ابن خمس سنين (٤٩٥هـ) يوم أن مات ابوه ، وكان صغير السن فاشتغل باللهو والعبث في الوقت الذي قام فيه وزير والده الأفضل شاهنشاه بتدبير أمور الدولة ، وعندما كبر الآمر أمر بقتل وزيره الأفضل واستوزر المأمون البطائحي المعروف بابن فاتك الذي أساء السيرة ، فقبض عليه الآمر وقتله سنة ٥٢٠ هـ ، وفي عهده استولي الفرنج الصليبيون علي العديد من مدن الشام ، وكان مقتله في ذي العقدة سنة ٥٢٤هـ .

أنظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٥– ص ٢٩٩ وما بعدها .

وانظر : ابن إياس (محمد بن أحمد) بدائع الزهور – حـ ١–ق١ – ص ٢٢١ وما بعدها .

البطايحي [١] أمر بأن يكون إنشاء الشواني والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر في ساحلها القديم عند دار خديجة ، وأضاف إليها دار الزبيب ، ثم أنشأ بها منظرة (منصة) لجلوس الخليفة عند استعراضه للأسطول ، وفي الوقت نفسه أقر المأمون بقاء إنشاء بناء السفن الحربية والشلندريات بدار صناعة الجزيرة .

وكان لصناعة السفن هذه دهليز (ممر) مفروش علي هيئة مساطب بالحصر العبدانية، وفيها محل ديوان الجهاد ، واعتاد الفاطميون أن لايدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا سوي الخليفة والوزير عندما يركبان في يوم فتح الخليج [٢] عند الاحتفال بعيد وفاء النيل، فكان الخليفة الفاطمي يدخل من الباب ويستمر راكباً ومعه الوزير حتي يصلا الى ماء النيل فيركب مركبه متجهاً نحو المقياس (مقياس النيل) ، وقد استمرت صناعة السفن بهذا المحل حتي قبيل سنة ٧٠٠هـ ، ومن بعدها صارت بستاناً عرف ببستان بن كيسان . [٣]

---

(١) هوا لمأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع وزير الآمر (بعد وزارة الأفضل) قتله الآمر مع خمسة من إخوته ، وصف بأنه كان متكبراً خارجاً عن الطور وهو الذي بني الجامع الأقمر حيث أكمله بعد الأفضل بن أمير الجيوش . انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – م٥ – ص ٢٩٩ ، ٣٠٢.

(٢) ويسمي أيضاً يوم كسر الخليج .

(٣) المقريزي – الخطط – حـ ٢– ص ١٩٧.

مراكز مرابطة الأسطول الفاطمي :

لم نلمس أية مشاركات فاعلة للأسطول الفاطمي في فتح مصر – كما سبقت الإشارة الى أن الفتح الفاطمي قد تم بالجيش البري – كما أشارت بذلك المصادرولم يصل الأسطول البحري الفاطمي من المغرب الى مصر إلا في رمضان سنة ٣٦١هـ ٩٧٢م ، وفي أواخر العام نفسه بدأ هذا الأسطول يساهم بقسط وافر في المعارك التي كانت تدور رحاها ببلاد الشام، ويقود الجيش البري فقد تمكن الفاطميون من استرداد يافا في أواخر عام ٣٦١هـ / ٩٧٢ م ، ومن ذلك الحين أخذت السفن تقلع من مراكز مرابطتها في كل من تنيس ، ودمياط ، والإسكندرية ، وكانت هذه السفن تصل الى صور ، طرابلس ، وغيرها لحفظ ثغور وسواحل الشام.

وأصبح للأسطول الفاطمي بفضل هذه المراكز التي رابط فيها نفوذ وقوة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وتمكن في سنة ٣٦٤هـ /٩٧٧م من صد هجوم بيزنطي علي طرابلس الشام ، واحتفظ بسيطرته علي سواحل مصر والشام في الفترات الأولي من حكم الفاطميين بالمشرق .

ويذكر البعض أن جزيرة تنيس [١] كان يرابط حولها بصفة شبه دائمة آلف سفينة منها ما كان يخص التجارة ، أما أغلبها فكانت تابعة

---

(١) تنيس : ذكرها ياقوت بكسرتين وتشديد النون: هي عبارة عن جزيرة في بحر مصر بين الفرما ودمياط ، وتصنع بها الثياب الملونة ، وملحها يزيد وينقص تبعاً لدخول ماء نهر النيل إليها ، ويقال أن المسيح عليه السلام قد مر بها ودعا لأهلها بإدرار الرزق عليهم فكانت البركة تحل بمن نزلها ، وصفتها =

للسلطان الفاطمي ، هذا بالإضافة الى وجود جيش متكامل بجميع حاجياته من سلاح ولوازم حربية حفظاً للثغور وللسواحل من الفرنج أو الروم كما كان للدولة مركز لمرابطة نوع من السفن الحربية ويسمي حراريق (١) في ميناء مدينة عيذاب لمواجهة أية اعتداءات تأتي من البحر الأحمر (٢)

ديوان العمائر :

ويطلق عليه كذلك ديوان الجهاد أنشاه الفاطميون وأقاموه بمكان صناعة وإنشاء الأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والأحطاب وغيرها من المؤن والأسلحة والعتاد، وكانت تزيد هذه المراكب عن خمسين عشارياً ، ويليها عشرون ديماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج ، بالإضافة الى غيرها كثير من السفن والمراكب بمسمياتها المختلفة المتعددة – التي سوف نشير إليها .

وكان علي كل قطعة حربية أو تجارية أو ما يستخدم منها للنقل رئيس ، ونواتي كان الانفاق عليهم دائم من أموال ديوان العمائر ، كما كان للقادة بعض العشاريات الدواميس ، وينفق عليها هي الأخري من

=

عبارة عن جزيرة في وسط بحيرة مفردة عن البحر الأعظم ، ويحيط بالبحيرة البحر من كل الجهات ، وتتجمع الطيور في موسم معين حتي تصل أنواعها مائة ونيف وثلاثين نوعا .

(١) سيأتي الحديث عنها .

(٢) د/ أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية – ص ٧٣٦ ، ٧٣٧

انظر : ياقوت الحموي – معجم البلدان – حـــ ٢ – ص ٥٢.

أموال الديوان حيث تصلهم رواتبهم ومستحقاتهم أينما كانوا نظراً لانتشار الأسطول في سواحل وبلاد عديدة[١].

وقد بلغ عدد قواد وضباط الأسطول الفاطمي ما يربو علي الخمسة آلاف ضابط [٢] يقودهم عشرة من القادة الأعيان تتفاوت رواتبهم بين عشرين ديناراً ، وخمسة عشر ديناراً ، وعشرة دنانير ، وثمانية دنانير ، الى أن يصل أقل راتب الى دينارين ، هذا بالإضافة الى إقطاعات كانت تخصص لهم تعرف بـــ : أبواب الغزاة .

أما القادة العشرة فكان يختار من بينهم قائد لتعيينه رئيساً للأسطول يساعده في ذلك نائبان هما : المقدم ، والقاوش فإذا اتجهوا للغزو كان القائد العام (رئيس الأسطول) هو الذي يأمر بالإقلاع ويقتدي الجميع بأوامره ونواهيه ، ويرسون خلفه عندما يأمر بالرسو في أية ميناء ، ليس هذا فحسب بل جعل الفاطميون علي رأس الأسطول كذلك أمير من أمراء الدولة الكبار ومن أعيانها ليتولي النفقة عليهم جميعاً في سفرياتهم وغزواتهم الحربية ، أما الانفاق العام فكان الخليفة يتولاه بنفسه علي غزاة الأسطول ، ويتم ذلك بطقوس وإجراءات مرتبة في حضور الخليفة والوزير معاً نذكرها فيما يلي :

فقد وصلت أعداد قطع الأسطول في أوج قوته – زمن المعز لدين الله – ما يزيد عن الستمائة قطعة ، وآخر ما صارت عليه في أواخر عهد

---

(١) المقريزي – الخطط – حـــ ١ – ص ٤٨٣.

(٢) يذكرهم المقريزي بلفظة : قواد الأسطول ، ويبدو أنه يقصد في ذلك " البحارة " لأنه من غير المعقول أن يكون الخمس آلاف كلهم قادة .

الدولة الفاطمية في عصر الاضمحلال والضعف ما يربو علي المائة قطعة ثمانين منها عبارة عن شونة، وعشر مسطحات ، وعشر حمالة ، ولم ينقص العدد قط عن المائة قطعة بحرية في أي عهد من عهود الدولة الفاطمية.(١)

وكانت الطقوس تبدأ من النقباء الذين هم عبارة عن الموجودين منهم بالقاهرة، وكذلك من هم خارجها ، وعندما يتم اجتماعهم توزع عليهم المشاهرة والجرايات للمدة التي سوف يستغرقها سفرهم ، ومع استكمال حضورهم يقوم النقباء بإعلام المقدم بحضورهم ، فيقوم المقدم بإعلام الوزير ، ويتولي الوزير مطالعة الخليفة علي الأمر فيقرر الخليفة تحديد يوم يستدعي فيه الوزير من ديوان الإنشاء ، ويحضر الخليفة علي هيئته ثم يأخذ مكانه المعد له في المجلس ، وكذلك الوزير في مكانه ، ثم يحضر صاحبا ديوان الجيش اللذان يطلق عليهما المستوفي والكاتب (٢)، والأول أمير ومقدم عن الثاني حيث يجلس الأول بداخل عتبة المجلس بينما يجلس الثاني خلفه .

---

(١) اختلفت الأرقام عند النويري يذكر : أن المعز وصل الى مصـــر يصـــاحبه ثلاثة آلاف شيني وغراب في البحر تحمل الكميات الضخمة من أمـــوال وعتـــاد ورجال الدولة الفاطمية . والشيني والغراب : هي السفن الحربية الكبيرة.
انظر : النويري – نهاية الأرب – حـــ ٢٨ – ص ١٤٤.

(٢) المستوفي هو الذي عرف بعد ذلك بناظر الجيش وكان يشترط فيه أن يكون عدلاً ، ومن أعيان الكتاب ، وأما كاتب الجيش فقد كان في الغالب من اليهود
انظر : المقريزي – الخطط – حـــ ٢– ص ١٩٣.

وبعد أن يستقر المجلس يؤُتي بأواني ، ويصب فيها الدراهم ثم يؤمر البحارة والرجال الغزاة بالدخول علي مجلس الخليفة كل مائة يدخلون مرة واحدة ، ويحضر الوزانون ببيت المال ، ثم ينادي المستوفي علي رجال الأسطول واحداً واحداً فإذ اكتمل عددهم عشرة توزن لهم وزنة من المال حيث كان مقرراً لكل واحد منهم خمسة دنانير كل دينار يصرف بستة وثلاثين درهماً فيسلمها لهم النقيب ، وتكتب باسمه في الدفاتر المعدة لذلك ، وتمض النفقة علي هذا المنوال حتي آخر الرجال ، وربما تستمر هذه العملية عدة أيام .

وبعدها تتهياً المراكب والسفن للتحرك والسفر حينئذ يركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة ، وعلي شاطئ النيل كانت هناك منظرة (منصة) أعدت لجلوس الخليفة خصيصاً لوداع الأسطول من خلالها ، كما تستخدم كذلك لاستقباله عند عودته .

وتبدأ مراسم وطقوس وداع الأسطول بحضور قادة المراكب الذين يبدأون في تحريك سفنهم في استعراض بين يدي الخليفة ، والسفن مزينة ، ومظهرة لاسلحتها وما فيها من المنجنيقات [1] ثم يأخذون في الضرب بها ، وتصويبها متقدمين شمالاً ويمينا ويذهبون ثم يعودون كأنهم في ساحة الوغي يقاتلون عدوهم ، ويحضر المقدم، ورئيس الأسطول حيث يقفا بين يدي الخليفة فيودعهما ويدعو للجميع بالنصرة والسلامة ، ويعطي للمقدم مائة دينار ، وللرئيس عشرين ديناراً ، ثم

(١) سيأتي بيانها في نهاية الدراسة .

ينحدر الأسطول متقدماً صوب دمياط ، ومن هناك يخرج الى البحر المتوسط حيث يتجه صوب مهمته الموكولة إليه .

وكانت العادة المتبعة في غنائم الأسطول أن يتم توزيعها علي رجاله إلا الأسري والسلاح فإنه يتم إرسالهم للخليفة ، أما ما عداهما من المال والثياب ونحوه فكان يوزع علي غزاة الأسطول [١]

وحدات الأسطول الفاطمي :

كانت وحدات الأسطول الفاطمي تقسم الى أقسام ثلاثة هي :-

١- **السفن النيلية** : وهي سفن تجارية لحمل الغلال والأحطاب ، ونقل البضائع ، وبعضها كان يستخدم للاحتفال بمقياس النيل ونزهة الخلفاء الفاطميين ، والأخيرة كانت تسمي عشاريات ، ويقال لها كذلك السمَّيريات

٢- **السفن الحربية** : وهي سفن الأسطول التي يتم صنعها وتدشينها خصيصاً للحرب والقتال وغزو سواحل بلاد الأعداء ، وهذه تشحن بالسلاح وبالمقاتلين ،وكانت تنطلق من ثغور دمياط والإسكندرية وتنيس والفرما في مصر ، ومن ثغور طرابلس وصيدا وصور في الشام للجهاد ضد أعداء الدولة من الفرنج والبيزنطيين .

٣- **سفن الجلاب** : وهي التي كانت تستخدم للملاحة في البحر الأحمر ، وكذلك المحيط الهندي لنقل تجارة الكارم ، ولنقل

---

(١) المقريزي – الخطط – حـ ٢-ص١٩٣.

الحجاج المسلمين ما بين مينائي عيذاب وجدة وهناك أنواع عديدة احتواها الأسطول الفاطمي الحربي الذي كانت قطعه تصنع في دار صناعة مصر أو دار صناعة الجزيرة ، بينما كانت السفن التجارية تصنع في مدينة الصالحية .

(١) الشواني : وتذكر بالفاظ عديدة منها : شاني – شينية – شونة ، وهي السفينة الحربية الكبيرة ، ويطلق عليها أسماء أخري مثل الغراب ، وكان يجدف فيها بمائة وأربعين مجدافاً ، وهناك من الأسماء الأخري مثل الطريدة ، والجفنة ، والحراقة ، وتجدر الإشارة الى أن الشواني هذه كانت مزودة بأبراج وقلاع للهجوم والدفاع ، ومخازن للقمح ، وصهاريج للمياه العذبة ، ويرمي منها النار والنفط علي العدو كذلك (١)

(٢) الشَّلندي : وهو مركب مسقوف يقاتل الجنود علي ظهره ، بينما المجدفون تحتهم وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة (المتقدم

---

(١) كانت هناك أنواع كثيرة من أساليب ، رمي النار والنفط من السفن الإسلامية علي الأعداء من بينها ما يسمي باب قارورة حيث تؤخذ قارورة مملوءة بالنفط الطيار مع سد رأسها ووضع مادة حارقة في الرأس ، ويتم كسرها بعد قذفها علي رأس الخصم فتشعل فيه النيران وتظل عليه حتي تهلكه ، وربما تهلك ما حوله كذلك وهناك أنواع أخري مثل : نصل مخفي لبَّاد ونصل صندروس ، ونصل ورق نجمي ، وغير ذلك كثير ، أنظر تفاصيل ذلك في:
ابن أرنبعاً الزردكاش – الأنيق في المناجنيق – تحقيق د/ إحسان هندي – منشورات جامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية – ١٩٨٥م – ص ٢١٤ – ٢٢١

ذكرها) ، وقد حرف اسم الشلندي بواسطة العرب فقالوا عنه : صندل ، ونقلوا هذا النوع من المراكب الحربية عن البيزنطيين .

(٣) **المسطحات** : وهي أيضا نوع من السفن الحربية الكبيرة يشبه الشلندي ويسع ما يقرب من خمسمائة مقاتل .

(٤) **البطسة** : وهي سفينة كبيرة الحجم تكثر عليها القلاع التي ربما تصل الى أربعين قلعاً ، ومهمتها نقل المؤن والعتاد ، ونقل أعداد كبيرة من الجنود كذلك.

(٥) **الحربي والحربية** : وتجمع حرابي وحربيات ، وقد استخدمها الفاطميون فترة وجودهم في أفريقية (بالمغرب العربي) ، واستمر اهتمامهم بها بعد انتقالهم الى مصر .

(٦) **حراقة** : وتجمع علي حراريق وحراقات ، وهي نوع من السفن التي كانت تعني برمي النيران والنفط لإحراق سفن العدو ، وهي تلي الشونة في الأهمية ، وتمخر عباب البحر بجوار السفن الكبيرة الحربية لحمايتها .

(٧) **الطريدة** : وهي تخصص لحمل ونقل الخيل ، ويحمل فيها ما يقرب من أربعين فرساً .

(٨) **الغيطاني والعجزي** : وهي مراكب مصرية كانت تصنع في دار صناعة مصر لحمل الركاب .

(٩) **الغراب** : وتجمع علي أغربة ، وهو اسم من أسماء الشيني يسير بالقلاع والمجاديف ، ويمتاز باحتوائه علي جسر من الخشب يهبط علي مركب العدو فيمر عليه الجند ، ويتقاتلون بالالتحام المباشر كالأساليب البرية المعروفة .

(١٠) عشاري وتجمع علي عشاريات ، وهي نوع من المراكب التي كانت تستخدم في البحرين الأحمر والمتوسط ، وكذلك في نهر النيل وهي عبارة عن قوارب صغيرة تلحق بالأسطول والمراكب الكبيرة ، وأكثر استخدامها في العصر الفاطمي كان للخلفاء والوزراء والقادة الكبار ، واستخدمت كذلك كمعدية وكزورق إنقاذ في حالة الخطر التي تحدق بالمسافرين [١]

المناجنيق المستخدم في الأسطول :

عرف العرب جميع أنواع المناجنيق واستخدموه في سفنهم ومعاركهم البحرية والبرية ، وكذلك فعل الفاطميون كما تشير بذلك المصادر وأهم أنواعها:-

أ- مناجنيق قذف الحجارة : وكانت أعظم الآلات الحربية القديمة وأشدها تأثيراً خاصة عند استخدامها في الحصار ، وكان منها نوع يسمي العرادات وهي مجانيق صغيرة يسهل تحريكها ونقلها بسهولة .

ب-مناجنيق قذف السهام : وتسمي باسم قوس الزيار يُرمي به السهم الهائل الحجم ، وهو آلي (ميكانيكي) له جهاز لشد الوتر للرمي الى مسافات بعيدة نوعاً .

ج- مجانيق قذف النفط والكرات النارية : ومقذوفاتها عبارة عن قدور مليئة بالنفط المطبوخ ، ثم يشعل فيها النار وتقذف صوب العدو فتحرق المكان الذي تقع فيه .

---

(١) د/ أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية – ٧٤٤ –٧٤٦.

د- مجانيق قذف القنابل : وتشبه الخاصة بقذف الحجارة إلا أن المقذوف عبارة عن قنبلة ، وأهم أنواعها :-

١-مجانيق النحاس : وهي صناديق نحاسية بأنابيب موصلة لها يتصل بها مزراق (الرمح الصغير) الذي يحمل قطعة لباد في رأسه ، ويُملأ صندوق النحاس بالنفط مع إشعال قطعة اللباد قبيل قذف الصندوق .

٢-قنابل الزجاج : وهي قوارير عادية تملأ بمزيج من المواد القابلة للاشتعال مثل الدهن والنفط والكبريت والكندس ، والأخير هو عرق لنبات شديد الحرارة ، وهذا الخليط عند اشتعاله لاتطفأ ناره إلا بعد وقت طويل .

٣-قنابل الغازات : وقد عرف العرب منها المضيئة ، والخانقة ، والمسيلة للدموع.

هـ- مجانيق قذف الأفاعي والعقارب : [١]حيث توضع في سلال من القش أو داخل جرار من الفخار المخرم تقذف بالمنجنيق وتتهشم فيخرج منها الأفاعي والعقارب فتؤذي جنود العدو [٢]

---

(١) وكذلك كانت تستخدم جميع الحشرات التي تلسع من تقابله أو تزعجه علي أقل تقدير .

(٢) كانت تسبق عملية قذف الأفاعي والعقاب مقذوف آخر عبارة عن نوع من الدقيق من شجر الدوم (النبق) مخلوط بالصابون فإذا قذف علي المركب بهذه المواد شديدة الرخاوة تسبب انزلاق ويتزحلق من يدوس عليها فتحدث الهلع في =

و- مجانيق قذف الرمم والقاذورات : وهي تستخدم لإزعاج العدو ونشر الأوبئة والأمراض بينهم .

أما المناجنيق الذي كان يقوم بقذف كل هذه الأنواع من الأسلحة فهو عبارة عن قوس معقد وبأشكال وتكوينات مختلفة يشد لإطلاق السهم ، ولكن السهم في المناجنيق لا يطلق بل يقذف فقط المقذوف المختلف الأنواع التي أشرنا إليها حيث أن هذا المقذوف يحمل علي كفة متصلة برأس السهم (١).

وقد فصَّل ابن أرنبغا الحديث عن المناجنيق وأنواعه وكيفية قياس المسافات لتصل الى الهدف بدقة مع التحكم فيها بكيفية مناسبة لإمكانات وظروف القتال في ذلك الوقت (٢)

كما عرفوا كذلك البارود منذ عهد هارون الرشيد ، واستخدموه نقلاً عن الصينيين الذين برعوا فيه (٣)، وقد كانت هناك اتصالات بين العرب المسلمين والصينيين منذ القرن الأول للهجرة – كما هو معروف .

=

نفوس العدو ثم تقذف الأفاعي والعقارب عليهم حينئذ تتمكن منهم حيث يفقــدون السيطرة علي حركتهم داخل المركب .

أنظر : ابن ارنبغا الزردكاش – الأنيق في المناجنيق – ص ١٩٣.

(١) ابن ارنبغا ازردكاش – الأنيق في المناجنيق – ص ٢٦-٢٩ .

(٢) ابن أرنبغا – الأنيق في المناجنيق – ص ٤١-٤٦.

(٣) ابن أرنبغا – الأنيق – ص ١٩٦.

نهاية الأسطول الفاطمي :

كانت نهاية الأسطول الفاطمي من الحوادث المؤسفة التي تلاها سقوط الدولة الفاطمية بعد انهار واضمحلال دام سنوات عديدة انتهت في عهد الخليفة الفاطمي العاضد بالله وهو الخليفة [١] الحادي عشر والأخير في هذه الدولة ، وقد تولي تدبير مملكته الوزير الصالح طلائع بن رزيك[٢] الذي قتل سنة ٥٥٦هـ وتولي بعده الوزارة شاور بن مجير أبو شجاع السعدي [٣] الذي يُعد آخر وزراء الدولة الفاطمية مثله مثل سيده العاضد بالله .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن الحافظ بن المستنصر بالله ، وقد ولي الخلافة بعد وفاة ابن عمه الفائز ، ولقب بالعاضد ، وكان شديد التشيع والنيل من الصحابة ، كان ميلاده في محرم من سنة ٥٤٦هـ ،
وتوفي منتحراً في المحرم من سنة ٥٦٧هـ .
انظر التفاصيل عند :
ابن خلكان – وفيات الأعيان – م٣– ص ١٠٩ –١١٢.
وانظر : ابن إياس – بدائع الزهور – حـ ١ –ق١ – ص ٢٣٠–٢٣٦.

(٢) هو ابو الغارات طلائع بن رزيك أول من تلقب بالملك الصالح من وزراء الدولة الفاطمية ، وقد تولي الوزارة في عهد الخليفة الفائز سنة ٥٤٩ هـ – كما تولي الوزارة للخليفة العاضد كذلك ، كان ميلاده في سنة ٤٩٥ هـ ، وقتل في سنة ٥٥٦هـ .
انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان –م٢ – ص ٥٢٦وما بعدها .

(٣) يذكر ابن خلكان في ترجمته أن جده الأعلي هو مخنس بن أبي ذؤيب عبدالله والد حليمة السعدية مرضعة النبي (صلي الله عليه وسلم) – وكان =

ففي سنة ٥٦٤هـ هاجم الصليبيون الفرنج ثغر دمياط ، ووصلوا الى بلبيس ، ثم زحفوا الى الفسطاط فهزموا عسكر الفاطميين فيه ، ودخلوا القاهرة فعند ذلك أشار الوزير شاور بن مجير (الذي كان علي اتصال بالفرنجة وملكهم آموري الأول Amoury) علي الخليفة الفاطمي بحرق مصر [١] (القاهرة والفسطاط) وحرق مراكب الأسطول الفاطمي فاشتعلت النيران في الجميع ، ودمر الأسطول في هذا الحريق الهائل بعد أن نهب العبيد وحداته ومشتملاته ، وغربت بذلك شمس الأسطول الفاطمي مع غروب شمس الدولة نفسها ، إلا أن صلاح الدين الأيوبي قد أعاد العناية به وأفرد له ديواناً خاصاً سمي ديوان الأسطول [٢]

=

شاور في خدمة وزير العاضد رزيك فولاه الأخير علي الصعيد المصري الذي يعد أكبر أقاليم مصر و أغناها ، وهو منصب كان يلي الوزارة في أهميته ، وعندما تمكن شاور ومكن لنفسه في الصعيد ، تقدم نحو القاهرة ، واستولي علي الوزارة ثم مالبث بعد ذلك أن اتصل بملك الفرنج الذي طمع في مصر وهاجمها سنة ٥٦٤هـ ، وقد تمكن صلاح الدين من القبض علي شاور في العام نفسه وأمر بقتله .

أنظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٢– ص ٤٣٩ وما بعدها .

(١) ابن إياس – بدائع الزهور – حـ ١– ق ١ – ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) المقريزي – الخطط – حـ ٢– ص ١٩٤.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

شلبي .

١- د/ أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي – مكتبة النهضة المصرية – ط١١ القاهرة .

النوبري

٢-أحمد بن عبد الوهاب – نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق / د. محمد أمين –مركز تحقيق التراث – القاهرة – ١٩٨٦م

المقريزي

٣-أحمد بن علي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – دار صادر – بيروت

ابن خلكان

٤-أحمد بن محمد – وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان – تحقيق د/ إحسان عباس دار الفكر ودار صادر – بيروت .

البلاذري

٥-أحمد بن يحي بن جابر – فتوح البلدان – تحقيق / عبد الله الطباع وأخيه – مؤسسة المعارف – بيروت – ١٩٨٧م.

الزردكاش

٦-ابن أرنبغا الزردكاش – الأنيق في المناجنيق – تحقيق د/ إحسان هندي – منشورات جامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية – ١٩٨٥م.

ابن كثير

٧-إسماعيل عماد الدين أبو الفدا- البداية والنهاية – مكتبة المعارف – ط ٢- بيروت – لبنان – ١٩٩٠م.

سيد

٨-د/ أيمن فؤاد – الدولة الفاطمية في مصر – الدار المصرية اللبنانية ط٢- القاهرة – ٢٠٠٠م.

مؤنس

٩-د/ حسين مؤنس – المجلة التاريخية – عدد ٤ مايو – ١٩٥١م. بحث بعنوان : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط الى الحروب الصليبية .

الزركلي

١٠- خير الدين – الأعلام – دار العلم للملايين – ط٨ – بيروت – ١٩٨٩م.

ماهر

١١- د/ سعاد ماهر – البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية – وزارة الثقافة مصر – ١٩٦٧م.

الكاشف

١٢- د/ سيدة إسماعيل – مصر في فجر الإسلام – دار الرائد العربي – بيروت ١٩٨٦م.

دياب

١٣- د/ صابر دياب – سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٣م.

ابن خلدون

١٤- عبد الرحمن بن محمد- العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – مؤسسة الأعلمي – بيروت- ١٩٧١م.

دنيا

١٥- عبد العزيز حافظ – معركة الصواري فتح جديد – ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار – اتحاد المؤرخين العرب – القاهرة – نوفمبر ١٩٩٣م.

المسعودي

١٦- علي بن الحسين – مروج الذهب ومعادن الجوهر – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – حـ ٣-١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م

تشركوا

١٧- كليليا سارنللي – مجاهد العامري العصرية قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري – لجنة البيان العربي – ط ١-١٩٦١م.

ابن إياس

١٨- محمد بن أحمد – بدائع الزهور في وقائع الدهور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٢م.

ابن حزم

١٩- محمد علي بن أحمد – جمهرة أنساب العرب – دار الكتب العلمية ط ١- بيروت ١٩٨٣م .

البلوي

٢٠- محمد المديني – سيرة أحمد بن طولون – تحقيق / محمد كرد علي – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ١٩٩٩م.

الأندلسي

٢١- محمد بن هانئ – ديوان أبن هانئ – تحقيق محمد اليعلاوي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٤م.

الحموي

٢٢- ياقوت بن عبد الله – معجم البلدان – دار صادر – بيروت ١٩٧٩م.

23- Dachraoui, F.Le califat Fatimide au Magreb 296-362/909-973. Histoir politique et imstitions Tunis STD. 1981

24- Shaban . A lslamic History. Combridge- 1976.